إلى أين سيتجه العالم بعد انتهاء الجائحة؟

آلاء محمود ديدح

ماجستير مهني MBA – المعهد العالي لإدارة الأعمال بدمشق

غيّر الوباء العالم بأكمله، أصاب بعض القطاعات بالشلل وأخرى بالانتعاش، ومصائب قوم عند قوم فوائد. في الوقت الذي لا تزال فيه الجائحة مستمرة، ليس من السهل معرفة التداعيات التي قد تترتب على المستوى المحلي والعالمي، إذ أن انتهائها ليس واضحًا حتى الآن ومن الصعب التنبؤ بحجم الأضرار والتغييرات التي يمكن أن تنتج عنها على كافة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، لا سيما أن الموقف في تطور متواصل.

السؤال الذي يطرح نفسه إلى أين سيتجه العالم بعد انتهاء هذه الجائحة؟

كانت تتوجه التوقعات نحو زيادة نسب النمو إلا أن تفشي الوباء سبب صدمة كبيرة وكان القشة التي قسمت ظهر البعير فأثّر على معظم الدول النامية بحكم أن أغلبها منهك بالصراعات الداخلية والحروب كما أثّر على الدول المتقدمة بحكم الترابط والتشابك العالمي.

أصاب الوباء قطاعات الاقتصاد والنقل والسياحة بالشلل، عزل دولاً وأغلق حدوداً، وفرضت الحكومات قيوداً على السفر في محاولة لاحتواء الوباء ومن ثم ظهرت أزمة عالمية غير متوقعة.

في ظل عدم القدرة على التكهن بمعرفة موعد تلاشي الفيروس، لا يوجد بديل عن الاستمرار في التعايش مع هذا الأمر، وبالرغم من موجة التشاؤم التي غطت العالم والتقارير ونشرات الأخبار عن الآثار السلبية لانتشار فيروس كورونا، إلا أن هناك بصيص ضوء لا سيما استفادة العديد من القطاعات كالأدوية، والاتصالات، وشركات التجارة الالكترونية.

يندرج تحت مظلة المستفيدين صناع وتجار الأقنعة الطبية والقفازات والمعقمات، وشركات الأدوية التي تعمل على إنتاج اللقاحات والأمصال المضادة للفايروس، حيث سجلت أرقام مبيعات عالية بسبب اتجاه المستهلكين في جميع أنحاء العالم إلى شراء المنتجات الطبية بشكل طوعي أو إلزامي تطبيقًا للإجراءات الاحترازية في الوقاية من الفايروس التي فرضتها الحكومات على شعوبها.

وأجريت بعض العمليات الجراحية بالاستعانة ببعض الاختصاصين عن بعد وذلك قبل أزمة الفيروس، ومع انتشار الوباء ازدادت الاستشارات الافتراضية التي انعكست بدورها على تقليل الازدحام في المستشفيات

ومراكز الرعاية الصحية، و ازداد الاهتمام بهذا الجانب وفق مجلة فوربس بعد أن فُرض الحجر الصحي في العديد من الدول.

وفي ظل القيود المفروضة في دول العالم من العزل أصبح التسوق عبر الانترنت ملجأ كثير من الأفراد، وازداد الطلب على تطبيقات الاتصال الالكترونية ومقدمي خدمات الترفيه عبر الانترنت، وشجع الارتفاع في التجارة الإلكترونية جنبًا إلى جنب مع نمو استخدام الوسائط الاجتماعية مما دفع الشركات للتحول إلى التسويق المؤثر والمحتوى الذي ينشؤه المستخدمون لتعزيز الوعي بالعلامة التجارية، والاستفادة من عمليات الدفع عبر وسائل التواصل الاجتماعي وتكامل التسوق، ومن هنا ظهر ازدياد الطلب على العديد من الوظائف التي لم تحظ بالاهتمام سابقًا سيما في الدول النامية تزامنًا مع إلغاء العديد من الوظائف التقليدية التي تتطلب الاتصال المباشر مع العملاء.

أما على صعيد العمل والتعليم، فقد ورد في تقرير للبنك الدولي أن اضطراب المجتمعات الناجم عن الوباء أدى إلى تفاقم أزمة التعليم العالمية الموجودة مسبقًا وأثّر على التعليم بطرق غير مسبوقة، ومن المرجح أن يكون التأثير على رأس المال البشري لهذا الجيل من المتعلمين طويل الأمد إضافة إلى هذه الصدمة العالمية لنظم التعليم والتأثير السلبي للانكماش الاقتصادي العالمي غير المسبوق على دخل الأسرة، مما يزيد من خطر التسرب من المدارس والجامعات، ومن هنا أصبح لزامًا على الجامعات والشركات تبني تقنيات الاتصالات الجديدة للاستمرار في العمل والتعليم عن بعد، والاجتماعات والدورات والتدريب عبر الانترنت مما قاد إلى تخفيض التكاليف على أرباب العمال من جهة والعاملين من جهة أخرى، وصار هناك اعتماد متزايد على المكاتب المنزلية ولم يعد هناك حاجة إلى توفر أبنية مخصصة للعمل وتوفير سكن للعاملين مما خفف الضغط على وسائل النقل، وهذا أدى إلى رفع مستويات العمالة لدى النساء خاصةً بسبب المرونة الجديدة في إمكانيات وشروط العمل، ولا تزال مخاطر التوظيف مرتفعة في القطاعات الاقتصادية المرتبطة بالعملاء على نحو مباشر مثل الفنادق والمطاعم.

وفي صدد التطرق إلى تخفيف الضغط عن وسائل النقل وتوقف حركة السفر في الكثير من دول العالم أدى ذلك إلى تحسّن في الغلاف الجوي وتراجع معدلات انبعاث غاز الكربون في الهواء، إلا أن هذا التحسن ربما يكون مؤقتًا، وقد ينتهي حال عودة الحياة لسابقها.

وفيما يتعلق بالتصنيع، قوّض الوباء المبادئ الأساسية للتصنيع العالمي، وبدأت الشركات بالتفكير بتقليص سلاسل التوريد الطويلة التي تنقل البضائع بين الدول وتوصلها إلى المستهلكين في الوقت المناسب، متجاوزة بذلك كلفة التخزين، وبالنظر إلى حجم الخسائر التي تعرضت لها الأسواق، أصبحت الشركات تعيد النظر في جميع منظوماتها المتعلقة بالوقت والإنتاج عبر العالم.

وبالنسبة إلى قطاع التكنولوجيا، ازدهرت الواجهات اللمسية في الآونة الأخيرة، من شاشات الهواتف النقال والحواسيب وأجهزة الصراف الآلي، مع استمرار انتشار الفايروس عن طريق اللمس فمن المتوقع أن العالم سيتجه إلى أساليب التفاعل غير اللمسية من خلال استخدام واجهات التفاعل عبر الصوت والتعرف على الوجوه والإيماء بالأيدي للحد من كثرة الاتصال باللمس في العديد من القطاعات.

ويتوقع ظهور تحول إلى العملات الرقمية بدل النقد المادي، وتطوير البنوك والمؤسسات المالية لتطبيقات الحاسوب والهواتف المحمولة لتقديم خدمات الدفع والتحويل عبر الانترنت.

وقد جرى على ألسنة الناس أن الوباء سيغيّر العالم ويقلبه رأسا على عقب، وأن العالم لن يعود كما كان قبل هذه الجائحة، وفي هذا القول قدر من الصحة والمبالغة معًا. فقد شهد العالم عبر الأزمان العديد من الكوارث والجوائح التي ضربت البشرية، وجميعها مرت مع تركها لندوب نفسية وآثار اقتصادية واجتماعية داخل الدول وخارجها، ذلك أن كورونا شأنها في ذلك شأن هذه الكوارث ستمر إلا أن لا أحد يعلم إلى متى ستستمر، ورغم الإجراءات القوية المتخذة تبقى المخاطر التي خلفتها الجائحة كبيرة، والتغييرات التي شهدها العالم للتعايش مع الوباء لن تختفي في ليلة وضحاها، والتعافي من هذه الأزمة لابد أن يفضي بنا إلى عالم مختلف.